

شَهَقَ وَأَنْعَجَ أَحْشَاهُ وَنَادَى وَأَسْفَاهُ عَلَى الْغُرْبِ ثُمَّ انْشَأَ يَقُولُ
يا الله حَيْثُ هُوَ بِالْبُعْدِ غُرْبٌ
لَيْتَ عَيْنِي أَنْ تَرَاهُ وَأَنَا الْبُعْدِ الْغُرْبِ

ثُمَّ قَالَ وَأَوْلَادَهُ ابْنَ خَلِّ وَابْنَ الْإِصْبَحِ قَالَ يَا شَيْخُ مِنْ أَيْنَ قُلْتَ مِنَ الْعَصْرِ
وَمَعِيَ سَأَلَهُ مِنْ غُرْبِ الْإِسْلَامِ الْأَمْرَ يَدِي إِلَى بَيْتِكَ قَالَهُاتِ قَالَ لِيهِمْ فَأَخْرَجَتْ
الْحَائِمَ وَالْمُصْحَفَ قَالَ فَلَا تَنْظُرْ إِلَيْمَا صَاحِخَ صَرْخَةً عَظِيمَةً وَصَجَّ الْعَسْكَرَ بِالْبُكَاءِ
ثُمَّ وَقَعَ مَعْشِيًا عَلَيْهِ سَاعَةً فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْ عَشِيَّتِهِ قَالَ أَنْ لَكَ هَذَا قَالَ سَلِمَهُ الْأَصَاحِبُ
قَالَ صَعْفَى لِي ثُمَّ أَنْتَ تَعْرِفُ عَيْشَهُ بِالذَّمِّ فَلَئِنْ يَأْتِيهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ شَارَكَ حَسَنَ الْبَسَاءِ
يَلِيحُ الْحِجَّةَ كَأَنَّهُ الْقَمَرُ النُّقِيُّ الَّذِي لَيْسَ الشُّعْرُ وَيَصُومُ الدَّهْرَ كَثِيرَ الْبُكَاءِ وَهُوَ يَجْعَلُ مِنَ النَّاسِ
وَيَجْعَلُ الْبَطِينَ عَارِضِيهِ وَهُوَ لَا يَجْعَلُ الْيَوْمَ السَّبْتِ يَجْعَلُ يَوْمَهُ وَذَلِكَ تَصَدَّقَ بِالْأَمْرِ
وَتَشَقُّوتَ بِاللَّفْظِ وَهُوَ لَا يَنْدُ مَعَ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ وَعَلَيْهِ مَدْعَاكَ مِنَ الشُّعْرِ وَتَحْتِهَا
مِنْ الصُّوفِ وَعَلَى رَأْسِهِ مِنْ زَنْجِ الصُّوفِ قَالَ فَمَا كَانَ مِنْهُ قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحُزْنَ

اللَّهُ غَزَا فِيهِ ثُمَّ انْشَأَ إِبْرَاهِيمَ وَجَعَلَ يَقُولُ
صَوَّحَكَ فِي مَشَاهِدِهِ الرِّجَالُ وَيَعْنُكَ فِي سَمَاعِ ذُرَى السُّؤَالِ
إِذَا بَصُرْتَهُ بَصُرْتَ شَخْصًا خَفِيفَ الْجِسْمِ بِأَلْ كَالْحَيِّ لَالِ
يَتَرَى نُصْرَ النَّصَارِ عَلَيْهِ طَوَّلًا لِأَنَّ سِرَّاهُ فِي طَوْلِ اللَّيَالِي
صَيْبَامِ الدَّهْرِ أَوْرَثَهُ سَقَامًا وَعَيْتَ خَالَهُ حَوْثَ الْعَمَالِي
عَصَبَتِكَ جَاهِلًا يَارَبِّ فَاغْفِرْ وَارْحَمْ مَا تَرَاهُ مِنْ سَوْءِ خَالِي
أَقْلَبُنِي عَثْرِي وَارْحَمْ بُكَاءِي فَقَدْ جَمَلْتُ أَوْ زَارَ انْتِقَالِي
وَأَنْ الصَّبْرَ حَسَنًا يَارْتَجَاهُ الْإِنْسَانُ مِنْ عَثْرِ وَمَالِ

وَالثَّوْقَ الرَّشِيدَ عَشِيًّا عَلَيْهِ فَحَقَّتْهُ الْعَيْدُ وَالْحَشْمُ وَلَا مَوَ الرَّهْمُ وَرَأَدُوا
قَتَلَهُ نَارِي الرَّشِيدَ الْهَمُّ وَقَالَ لِأَقْبَلُوهُ قَالَ فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْ عَشِيَّتِهِ قَالَ يَا شَيْخُ هَاتِ
مَامَعَكَ قَالَ فَأَعْطَيْتَهُ الْمُصْحَفَ وَالْحَائِمَ وَكَانَ فِي وَسْطِ الْمُصْحَفِ رُقْعَةٌ فِيهَا مَكْتُوبٌ

قَالَ فَبَعْضُهَا وَفَرَاهَا وَبَعْضُهَا هَذِهِ الْآيَاتُ حَيْثُ يَقُولُ

يا أَيُّهَا الرَّاكِدُ كَمْ تَرْتَدُّ فَمَ يَا حَيْبِي فَرَدْنَا الْمَوْعِدَ
وَحَدَمْنَا اللَّيْلَ وَسَاعَانَهُ وَرَدَّ الْأَمَانَ قَدَ السَّيِّدِ
مَنْ نَامَ حَتَّى يَبْقَى لَيْلُهُ لَا يَبْلُغُ الْمَنْزِلَ أَوْ يَجْعَدُ

قَالَ فَطَوَى الرَّشِيدُ الرُّقْعَةَ وَقَلَّمَهَا وَأَوْضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ وَبَكَى كَمَا وَشَدِيدًا وَقَالَ
يَا أَسْفَاءَ عَلَيْكَ يَا وَلَدِي بَعِزَّ وَاللَّهِ عَلَى مَوْتِكَ عَرَبٌ وَجَعَلَ يَقُولُ

يَا غَايِبًا لِمَ تُوَوِّبُ مِنْ سَفَرِهِ عَاجِلُهُ مَوْتَهُ عَلَى صِغَرِهِ
يَا فَرَّغَ الْعَيْنَ كُنْتُ لِي كَمَا فِي طَوْلِ اللَّيْلِ ثُمَّ فِي قَضَرِهِ
سُحْرَتْ كَأَسَا الْبُؤْسِ شَارِبُهُ لَا يَدُ مِنْ شَرِّهِ عَاكِرُهُ
نَعْمَ وَكُلَّ الْأَنَامِ يَشْرَبُهُ مِنْ كَرْنِ بَدْوِهِ وَفِي حَضَرِهِ
قَدْ قَسَمَ الْمَوْتَ فِي الْعِبَادِ فَهَلْ يَتَدَرَّ خَلْفًا بَرْدُ عَمْرِهِ
لِلدَّيْبِ لِأَشْرَكَ لَهُ سُبْحَانَهُ لَا يَجُورُ فِي حَسْرَتِهِ

ثُمَّ قَالَ يَا شَيْخُ كَيْفَ كَانَ بَدْوَاهُ وَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ فَقُلْتُ أَنَا لِأَنَّهُ أَوْصَانِي وَقَالَ يَا
إِذَا تَقَبَّلْتِ حَيْبِي وَطَلَقْتِ بَرِي فَاتْرُكِي خَدِّي عَلَى الرَّسْمَادِ أَوْ عَلَى النَّزَارِ وَدَوَسْتِ بِرِجْلِكَ
وَقُلْ هَذَا جَزَاءُ مَنْ قَضَرَهُ فِي خَدْمَتِهِ مَوْلَاهُ فَقَالَ الرَّشِيدُ يَا شَيْخُ مَا حَقَّقْتَ مِنَ اللَّهِ فَقُلْتُ
لَهُ هَمَّتْ ذَلِكَ وَإِذَا بَهَائِفُ يَصْنُقُ فِي سَمْعِ صَوْتِهِ وَلَا أَرَى خُصْمَهُ وَهُوَ يَقُولُ
نَعْمَ عَزَّ وَاللَّهِ فَإِنَّهُ سَدَّلَ لِمَوْلَاهُ قَالَ فَكَأَنَّ الرَّشِيدَ وَقَالَ يَا بِي وَاللَّهِ عَيْنَاكَ تَمَنَّقَتْ
بِالنَّظَرِ الْمَحْبُوبِ قَلْبِي وَمَنْهُ فَوَادِي خَرَجَ نَدَاكَ قَالَ يَا خُرَجْتَ يَدِي بِمَا خَذَ الرَّشِيدَ
الَّذِي وَقَلَّمَهَا وَأَوْضَعَهَا عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ يَا إِبْرَاهِيمَ أَنْ لَمْ أَنْتَ مَحْزُورٌ قَدْ فَرَّخَ الْبُكَاءُ جَمَاعَتَهَا
فَمَا لَكَ أَنْ تُضَيِّقَ إِلَيْهَا وَتَقْضَى عَلَيْهَا فَصْنَتَهُ فَلَعَلَّهَا تَبْقَى بَدْوَهُ ثُمَّ أَنَّ الرَّشِيدَ اسْتَرْ
إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَخْضُرَ فِي قَضَرِهِ وَأَحْضُرَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَدْوِهِ وَقَدْ أَحْرَبَتْ عَيْشَهُ مِنَ الْبُكَاءِ ثُمَّ
أَحْضُرَ بَدْوَهُ وَاللَّيْلَةَ وَهِيَ لَرَقْعَةٍ أَحْشَاهُ وَهَامَ كَيْدَهُ جِدَّتْ نَامَ قَالَ يَا إِبْرَاهِيمَ صِفْ
لَهَا صِفَتَهُ فَقُلْتُ شَابَ حَسَنَ الشَّبَابِ طَابَعَ الْمَلِكُ الْوَهَّابِ لِبَاسَهُ الشَّقِيصِ